

جسر بيتشوجين

بقلم: ! . بيرميالك

ترجمها من الروسية أ. د. حامد طاهر

في الطريق إلى المدرسة , تعود جماعة من التلاميذ الحديث عن المآثر.

قال المصطفى الأول : ما اروع إنقاذ طفل من الحريق!

وتخيل الثاني: أروع منه اصطياذ أكبر كركي .. على الفور يعرفه الناس جميعاً.

وقال الثالث: أروع من هذا كله أول من يطير إلى القمر . فإن العالم كله سيعرف صاحبه!

لكن (بيتشوجين) لم يفكر في شيء من هذا . فقد كان فتى هادئاً , صامتاً . ومثل باقي زملائه , كان بيتشوجين يفضل الذهاب إلى المدرسة من طريق قصير عبر نهر صغير عند شاطئ شديد الانحدار . وكان عبوره وثباً من أصعب الأمور .

في العام الماضي , لم يتمكن تلميذ صغير من القفز فسقط في الماء , وما زال يرقد في المستشفى . وفي هذا الشتاء , عبرته فتاتان في الجليد فعثرت أقدامهما عليه . وهكذا تعالت المصرخات منه . وحرمت جماعات التلاميذ الصغار من استخدام هذا الطريق القصير . وكم يكون المسير مرهقاً وطويلاً , عندما يوجد طريق آخر قصير!

وها هو بيتشوجين يفكر .. ويهتدى أخيراً إلى ضرورة قطع صمصافه قديمة من هذا الشاطئ ليسقطها على الشاطئ الآخر . وكانت لديه " بلطة " جيدة , مشحونة من عهد جده , فراح يقطع في الصمصافة وقد اتضح بعد قليل أن هذا عمل غير سهل . فقد كانت الصمصافة غليظة جداً , لا يمكن لإنسان واحد أن يضمها بذراعيه الماشنتين . لكنها بعد يومين من العمل المتواصل سقطت .. راقدة عبر النهر الصغير ثم كان على بيتشوجين أن يشذب فروع الصمصافة التي تعوق المسير , وتشتبك تحت قدميه .

لكنه - بعد أن قطع الفروع - وجد أن المسير أصعب , لأنه لم يكن هناك شيء يمكن الاستناد إليه وخاصة عندما يسقط الجليد .. وقرر بيتشوجين أن يركب سوراً من أعواد الخشب.

وهكذا ظهر جسر جديد . ولم يعد التلاميذ فقط هم الذين يستخدمونه وإنما كل سكان المنطقة عندما يعبرون من قرية إلى قرية أخرى , بواسطة طريق قصير . حتى أن أولئك الذين كانوا يستخدمون الطريق غير المباشر , كان يقال لهم :

-هل تريدون أن تقطعوا مسافة سبعة ألف متر ! اذهبوا مباشرة عن طريق جسر بيتشوجين.

وعندما تآكلت الصفصافة , وأصبح المسير عليها محفوفاً بالمخاطر استبدل بها أهالي القرى المجاورة جذع شجرة أخرى جيدة .. لكن بقي الاسم الأسبق للجسر , وهو : بيتشوجين.

ثم لم يلبث هذا الجسر أن تغير , وأصبح طريقاً معبداً , وعبر النهر السريع , امتد الطريق , في نفس مكان ذلك الممر الصغير , حيث شيدت الحكومة جسراً كبيراً , ارتفعت على جانبيه قوائم من حديد الزهر . وكان من الممكن أن يطلق على هذا الجسر المضحك اسم كبير . لكن أحداً لم يفكر على الإطلاق في أن يطلق عليه أي اسم آخر سوى: جسر بيتشوجين !

وبهذه الطريقة وحدها , يمكن أن يصبح للإنسان اسم في الحياة!